الفصل التاسع
تَحَديات العَولمَة والحِوَار
معَ الغَرب

الفصل التاسع

تَحَديات العَولَمَة والحِوَار معَ الغَرب

ظَهَرَ مصطلح " العَولمة " أولاً باللغة الإنجليزية ثم تُرجم إلى اللغات الأخرى، ومنها اللغة العربية، وإلى جانب " العولمة " جرى تداول كلمات أخرى في اللغة العربية ترجمةً للفظ الإنكليزي الأصلي، منها: " الكَوكبة " و " الكونية " و " الكوننة " وقد غَلب عليها جميعاً لفظ "العولمة ".

ويختلف الباحثون حولَ تعريف نظرية العَولمة. ولعلَّ اختلافهم يعود إلى أنَّ نظرية العَولمة، برغم أهميتها، فهي لا تزال في مرحلة البدء والتطور.

يقول الباحث " جون تواملنسون": رئيس مركز أبحاث الاتصالات والثقافة العالمية بجامعة ترنت البريطانية، مُعّرِفاً العولمة: ((تشير العَولمة إلى

الفعاليات المضطردة المتنامية التي تخص الاتصالات الاندماجية المعقَّدة بين المجتمعات والثقافات والمؤسسات والأفراد على النطاق العالمي)).

أما الباحث السوسيولوجي " أنثوني جيدينز " فيقول: إنَّ العولمة هي: ((تكثيف العلاقات الاجتماعية الممتدة على نطاق العالم أجمع والتي تربط محليات متباعدة بحيث أن الأحداث المحلية تكيّفها أحداث تصدرُ على بعد أميال عديدة وكذلك العكس)).

ويشيرُ هذا التعريف ضمنياً إلى وجود علاقات معينة ولكنها تكثّفت في عصر العولمة، حيث أدَّى هذا التكثيف في أشكال الحِوَار الإنساني والعلاقات الاجتماعية العالمية أو العولمية إلى ترابط القوى في العالم، ولهذا فإن ما يحدث في مدينة ما يكون متأثراً بما يحدث في الجانب الآخر البعيد من العالم، والعكس صحيح أيضاً.

ويعـرِّف " فيذرسـتون " العولمـة بقولـه: ((تتضـمن العولمة الامتداد الخارجي للثقافة المحلية المعينة إلى أقصى حدودها، أي العالم أجمع. تصبح الثقافات المختلفـة منخرطـة في الثقافـة الغالبـة الـتي سـوف تغطي، بعد حين، جميع العالم)).

وهكذا يشير " فيذرستون " على اتجاه حركة العولمة الثقافية. فهو يرى أن العولمة تخص امتداد الثقافات المحليـة خـارج حـدودها بحيـث يكـون حيزهـا العـالم بأكمله.

وبالتـالي تـؤول هـذه الثقافـات الممتـدة خارجيـاً إلى مزج ثقافي واحد يسود العالم أجمع.

عولمة الثقافة

إنَّ التنـوع الثقـافي ضـرورة صـحية تمليهـا الحاجـة الروحيـة والحضـارية لشـعوب العـالم، أمـا العولمـة الأمريكيـة فتهـدف إلى تشـكيل صـورة العـالم وفـق

قِيَمِها الثقافية ومصالحها بما يضمن لها هيمنة مطلقة على صناعة الثقافة العالمية.

((وبعد أن أصبحت أمريكا تحتل القطب الواحد وراح الإعلام الأمريكي يبشِّر بثقافة الانترنيت، وهي شبكة معقدة من النُّظم المبتكرة والحاسوب الآلي والفاكس والتلكس، وتبشِّر بالثقافة الأمريكية الممثلة بثقافة السوبرمان ومؤسسة والت ديزني متجاهلة القِيم الثقافية للقوميات والدول والتفاعل الحضاري والثقافي العالمي المبني على الاحترام الثقافي)).

ونتيجة للتطور التكنولوجي في المعلومات والاتصالات والموجّه في جزئه الأكبر للوطن العربي، فإنَّ الثقافة العربية تعاني هجمة تحديات ثقافية ذات طابع إعلامي تستهدف قِيم الوجود والأصالة والانتماء من حيث المبدأ وتستهدف تذويب الثقافة وَصَهرها واغتيالها من حيث الغاية، والتي

تـؤثر علـى الإنسـان العـربي بحالـة اغـتراب ثقافيـة، اجتماعية وسيكولوجية، حالة من فقدان الإحساس بالانتماء إلى المستوى الثقافي وحالة من الضياع في مسـتوى العلاقـات الاجتماعيـة، والـتي أدَّت إلى التفكك الوطني والقومي.

وبهذا يكون الأمن الثقافي للأمة العربية هشاً يسهلُ اختراقه، وبالتالي يؤثر ذلك على مختلف الجوانب الحضارية والفكرية والسياسية للأمة العربية.

عولمة الإعلام

يمكـن تعريفهـا إجرائيـاً ((عمليـة تهـدف إلى تجـاوز الحـدود السياسـية والثقافيـة بـين المجتمعـات بفضـل تعـاظم قـدرات وسـائل الإعـلام والمعلومـات ولهـا أهـداف تعمـل علـى توحيـد أسـواق العـالم وتحقيـق مكاسـب لشـركات الإعـلام والاتصـال والمعلوماتيـة العملاقة، متعددة الجنسيات على حساب تقليص دور الدولة في المجالين الإعلامي والثقافي)).

وتظهر في مجال عولمة الإعلام سيطرة واضحة للولايات المتحدة الأمريكية على المستوى العالمي إذ

((تسيطر وحدها على 65% من المادة الإعلامية، حيث تسيطر 15 شركة أمريكية في مجال الإلكترونيات على نسبة 75 % من الإنتاج الصناعي الإلكتروني العالمي في مجال الثقافة)).

وتتضمن المادة الإعلامية والثقافية الأمريكية نشر الثقافة الأمريكية عبر الحدود، ونشر نمط حضاري وثقافي يكرّس العَولمة الأمريكية ويُفقد الأمم والشعوب هويتها وشخصيتها وثقافتها.

وتسيطر الدّول الغربية على الإعلام العالمي من خلال أربع وكالات أنباء دولية كبرى في العالم وهي:

- وكالة اسوشيتد بريس – الأمريكية.
- يونايتد بريس – الأمريكية.

- فرانس بريس – الفرنسية.
- رويتر – الإنكليزية.

وهكذا تعتمد الولايات المتحدة والدّول الغربية على الإعلام، فهو أداتها الأساسية لنقل الأفكار والأخبار والثقافات إلى الأمم الأخرى والتأثير عليها لجعلها تدور في فلكها.

الآثَار الاقتصادية والثقافية والاجتماعية والسياسية السَّلبية للعولمة

لظاهرة العولمة أبعاداً وتجليات غير محدودة، تشمل كل النشاطات الإنسانية تقريباً، ومن أهم هذه الأبعاد والآثار السَّلبية، البعد الاقتصادي الذي يُعتبر من أهم وأبرز مظاهر العولمة ونتائجها السَّلبية، وقد تجلَّى البُعد الاقتصادي في انهيار حلم التنمية الوطنية المستقلة، وتكريس التبعية الاقتصادية للغرب، والقضاء على الصناعة الوطنية، وهدر الثروة الوطنية وتدمير البيئة.

أما البُعد الثقافي كأثر سلبي للعولمة فيتجلى في هيمنة الثقافة الغربية، وزعزعة منظومة القِيم في المجتمعات العربية والإسلامية، وتهديد اللغة العربية والدِّين الإسلامي.

أما آثار العَولمة السَّلبية في المجالات الاجتماعية فحدِّث ولا حرج، ومنها: سيادة الطابع الاستهلاكي الفارغ كنمط للحياة، والترويج للنّمط الغربيّ كأسلوب للحياة والسلوك، وتعميق التفاوت الاجتماعي، وتدمير الانتماءات الحقيقية إلى الوطن والدِّين وإيقاظ ولاءات ضيقة كالطائفية والمذّهبية والقبلية لإضعاف الشعوب وجعلها تتناحر فيما بينها لتعبيد الطريق أمام عجلات العولمة التي ستأتي على الأخضر واليابس وتُحكِمُ سيطرتها على مُقدَّرات الشعوبَ.

وفي المجال السياسي تتجلى الآثار السَّلبية للعولمة في النواحي التالية:

1-إضعاف سلطة الدولة الوطنية.

2-محاولة فرض نظام سياسي معين على العالم.

3-محاولة إملاء سياسات معينة على العالم.

الثقافة والإعلام في مواجهة تحديات العولمة

ستنعكسُ آثار العَولمة على الثقافة والإعلام والاجتماع والسياسة، لأنها ((المآل الحقيقي لما يشهده العالم من ثورة تكنولوجية واتصالية وتحرير للاقتصاد والتجارة الدولية)).

والثقافة العربية في ظل هيمنة العولمة يجب أن تتجاوز الأطر التقليدية، وأن تقتحم المجالات التي يحتمها منطق التطور وتفرضها آليات العصر الحديث كوسائل الاتصال الحديثة وشبكاتها المتنوعة.

((وإذا أراد العرب تأسيس ثقافة عربية قادرة على الوقوف في وجه التحديات المتعددة الأشكال والألوان، فإنَّ هذا لن يكون بالعزوف عن الثقافات

الأخرى والانطواء على الذات، بل يكون بمواصلة التفتح مع التمييز الجيد بين النافع فيه والضار، والملائم للثقافة القومية وحضارتنا وتوجهنا الاقتصادي والاجتماعي والفكري وبين ما هو غير ملائم لهذه المكونات)).

أما بالنسبة للإعلام العربي، فالمهام الملقاة على عاتقه جسيمة، ولذلك عليه مواكبة التقنيات الحديثة واستيعابها واستثمارها جيداً.

((إنَّ وسائل الإعلام في جوهرها أدوات ثقافية تؤدي دوراً أساسياً في نقل الثقافة ونشرها. ويتوجب على الإعلام العربي أن يحقق التكامل وتدارك ما يحدث من تعارض وتناقض بين ما تبثه وسائل الإعلام الغربية من قِيم وسلوكيات تهدِّد الهوية الثقافية العربية، وبين ما تحرص المؤسسات التعليمية على تأكيده، وخصوصاً أن الغرب يملك التقنية الأقوى بالإضافة إلى أنه يقدِّم حججاً على

الرغم من عدم صحتها إلاَّ أنها تكون مقنعة بالنسبة للغالبية العظمى من الشعب غير المثقف)).

وهكذا لابد من تكامل دَوْرَي الإعلام والثقافة وتفعيله وتطويره للوقوف في وجه تحديات العولمة التي أخذت رياحها العاتية تهبُّ على العالم مقتلعة في طريقها هويات وتراث وثقافات الشُّعوب التي لا تصمد في المقاومة ولا تُفعّل أدوات المجابهة الإعلامية والثقافية والاقتصادية والسياسية.

من العَولمة المؤمركة إلى عَولمة التنوع

((من فَلسفة السَّيطرة والصِّدام إلى ثَقافة الحِوَار))

((إنَّ العَولمة الآن بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية تسير بوتائر سريعة وشاملة وواسعة النطاق تفرض قواعدها وفلسفتها على الجميع)).

هذا ما قاله الكاتب الأمريكي "توماس فريومان" وهو قول يبيّن العولمة المؤمركة مكشوفة على حقيقتها المتطرفة والمتسلطة والعنيفة بآنٍ واحد.

وبهذا المعنى تسعى العَولمة المؤمركة إلى أن تكون " اقتصادية " بامتياز، وتسعى لتعميم " ثقافتها " العالمية بثلاث سمات حدّدها البروفسور الروسي " أليغ كولوبوف " والأستاذ الدكتور " سهيل فرح " عضو أكاديمية التعليم الروسية بما يلي: ((السِّمة الأولى تجعل من اللغة الإنكليزية ومن الدولار بمثابة – العجل الذَّهبي – الذي يوجب أن تمارس الشُّعوب خضوعها وتبنيها التام لهما. أما السِّمة الثانية وهي احتكارية أيضاً، تتمثل في قدرة هذه – العولمة المؤمركة – لأن تقصف العقول والنفوس والأذواق عبر العالم. والسِّمة الثالثة، وقد تكون الأكثر خطورة بالنسبة لسائر الحضارات العالمية، حيث إن الثمن الكبير تدفعه تلك الحضارات،

وهي القدرة على الامتصاص الهائل للأشياء. إنها القدرة والرغبة الجامحة بأن تتحول الاختلافات والتنويعات القائمة في العالم إلى سوق كبير للاحتكارات الأمريكية)).

وهكذا تعمل " العَولمة المؤمركة " على تهيئة المناخ الثقافي على المستويات الوطنية والإقليمية والدولية لتقبّل منظومة ثقافية بعينها تعبِّر عن قِيم العَولمة في تعريفها الأمريكي بما يخدم مصالحها الاقتصادية ويدعم نفوذها السياسي وتمركزها العسكري في العالم.

((كما تعمل منظومة قيم العولمة الأمريكية على ترسيخ قيم الحداثة الغربية خاصة كما تبلورت في النموذج الأمريكي وتعمل على نشرها تدريجياً بين النخب في العالم، تمهيداً لانتشارها كطريقة في الفهم والتفكير والسلوك لتشكل نمطاً موحداً عالمياً في الحياة الاجتماعية)).

وبهذا الفهم الأمريكي العقيم يُربط الإسلام ربطاً مباشراً برفض الحداثة " على النموذج الأمريكي " وبممارسة الإرهاب ومعاداة ثقافة السلام والتسامح، وبرفض الآخر. وهذه الرؤية الأمريكية تشمل الدِّين الإسلامي كلّه لا مجموعة متطرفة من المسلمين. وبهذا تدعو " العولمة المؤمركة " إلى السَّيطرة والصِّدام ورفض الانفتاح على الآخر، ولاسيما على العرب والمسلمين، مما يغلق كافة أبواب الحِوَار والتفاهم، ويفتح كافة أبواب الصِّدام والحروب على أكثر الاحتمالات سواداً.

وفي مقابل " العولمة المؤمركة " تبرز الحاجة الإنسانية ملحّة إلى " عولمة التنوع " وقد تبدَّى ذلك جليَّاً خلال العقود الأخيرة من خلال اتجاهٍ دوليٍّ معاكسٍ تجسّدَ من خلال جهود عدد من المنظمات الدّولية وبعض الدّول وبعض المؤسسات الثقافية والإعلامية التي أكّدت على رفض المركزية

الأمريكيـة في العلاقـات الثقافيـة الحضـارية علـى المسـتوى العـالمي ودعـت إلى إحـداث نـوع مـن التوازن في التدفق الثقافي والإعلامي بين الولايات المتحدة من ناحية وبقية العالم من ناحية أخرى.

كما عبّرت عن القلق المتزايد من التأثير الأحادي الطاغي لنموذج ثقافي واحد على مستوى العالم، ومن التأثيرات السَّلبية لصناعة الإعلام والإعلان والسينما وغيرها من الصناعات الثقافية الأمريكية التي تؤكد قيم القوة والعنف والفردية والعنصرية.

إنَّ كوكبنا يزخر بتنوع اثني وثقافي وحضاريّ يشكل مصدراً هاماً لغنى وإبداع وتنوع الحضارة الإنسانية الواحدة التي تنطوي على ثقافات متعددة.

فعولمة التنوع هي عولمة الحضارة الإنسانية الواحدة بثقافاتها المختلفة. يقول المفكر الفرنسي "كلود ليفي شتراوس ": ((الحضارة هي تعايش الثقافات بكل تنوعها. فأي حضارة عالمية لا يمكن أن تمثل

إلاّ تحالفاً عالمياً بين الثقافات، تحتفظ فيه كل منها بأصالتها)).

إنَّ عولمة التنوع تضفي الطابع الإنساني والأخلاقي على العلاقات بين الدول والمؤسسات والجماعات والأفراد، وبالتالي هي نقطة نوعية هامة باتجاه حِوَار الثقافات.

عَولمة التنوع وَضرورة الحِوَار

((من أجل ثقَافة أخلاقية عالمية))

في الوقت الذي تهدِّد فيه العَولمة المؤمركة المكونات الأساسية للثقافة العربية والإسلامية كالدِّين واللغة والعادات والقيم، وتُلغي كافة فرص الحِوَار، تكُرس عولمة التنوع جهودها على الحِوَار الفاعل والبنّاء من أجل ثقافة أخلاقية عالمية تُغني القواسم المشتركة التي تجمع بين الثقافات المتنوعة التي تشكل حضارتنا الإنسانية.

ومن أهم المبادئ التي تنادي بها عولمة التنوع لتأسيس ميثاق أخلاقي إنساني عالمي عام:

1-الدَّعوة والعمل الحقيقي من أجل الاتفاق على عقد اجتماع دولي لتقليص مساحة الفقر والبطالة والجهل والمرض.

2-احترام الحرية الثقافية التي تشجع على التجريب والتنوع والخيال والإبداع.

3-إرساء الديمقراطية المعتمدة على مبدأين أساسيين على مستوى الوعي والممارسة.

4-حماية حقوق الأقليات.

5-العالمية الأخلاقية المرجوّة هي التي تهدف إلى خلق علاقة جدلية متوازنة بين الحقّ والواجب، الحرية والضوابط، التوفيق الحكيم بين الأنا والآخر.

6-إنَّ مستقبل الثقافات لا يكمن في الانطواء داخل أسوار التقليد والجمود ولا بالذوبان مع

حضارة الأقوى بل بالتفاعل الخلاَّق بين الثقافات العالمية المختلفة.

وَهَكَذَا يكون تنوُّع الثقافات وتفاعلها وتحاورها سبيلاً إنسانياً راقياً لنبذ سياسة السَّيطرة والهيمنة والعنف، وبالتالي الوقوف في وجه العولمة الوحشية التي تجتاح الكرة الأرضية، والتأسيس لحضارة إنسانية واحدة ذات قيم أخلاقية عالمية مشتركة تكون محصلة طبيعية لتمازج وتكامل وحِوَار الثقافات المختلفة في بوتقة الحضارة الإنسانية الواحدة.

إنَّ الحِوَار المنشود هو السَّبيل الأوحد لتحويل العَولمة الوحشية إلى عَولمة إنسانية شاملة لكل الثقافات من أجلِ بناء عَالم مُتَآخٍ مُتضامن ينبذ كل أشكال السَّيطرة والهَيمنة والكَراهية والاستغلال، وينشدُ الخيرَ والعَدالة والمُساواة والمَحبة للجميع حَاضراً ومُستقبلاً.

أهم المراجع:

[1] – عبد الحافظ, عبد الرشيد: الآثار السَّلبية للعولمة, مكتبة مدبولي, القاهرة 2005.

[2]– التوم, د . عبد الله عثمان / آدم , د. عبد الرؤوف محمّد: العَولمة, دار الورَّاق, لندن 1999.

[3] – عبد الدائم, عبد الله: العرب والعالم بين صِدام الثقافات وحِوَار الثقافات, مجلة المستقبل العربي, العدد 203, 1996م.

[4]– وطفة, علي: الثقافة وأزمة القيم في الوطن العربي, مجلة المستقبل العربي, العدد 192 , 1995م.

[5]– شومان, محمّد: عولمة الإعلام ومستقبل الإعلام العربي, مجلة عالم الفكر, المجلد الثامن والعشرين, العدد الثاني, الكويت 1999م.

[6] – خضر, محمّد: الإعلام العربي والتحديات التقنية, مجلة معلومات دولية, دمشق, عدد (55) 1997م.

[7]– الجويلي, نصر: الثقافة العربية في مواجهة تحديات العصر, مجلة الهداية, العدد الأول والثاني, السنة 25, 2000م.

[8]– قدور, صفاء: الإعلام العربي وصناعة رأي عام , مجلة " المعلم العربي" , دمشق, العدد2, السنة6 , 2007م.

[9] – كولوبوف, د. أليغ/ فرح, د. سهيل: حِوَار الحضارات: المعنى , الأفكار, التقنيات، دار علاء الدين، دمشق 2008.

10. تقرير اللجنة العالمية للثقافة والتنمية، إصدار المجلس الأعلى للثقافة, القاهرة 1997م .

****